جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠- ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١- ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(١)، ع٢، ص ص١٠٩-١١٤، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٤م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 1, (2), pp 109-114, King Saud University, Riyadh (1445H / 2024)

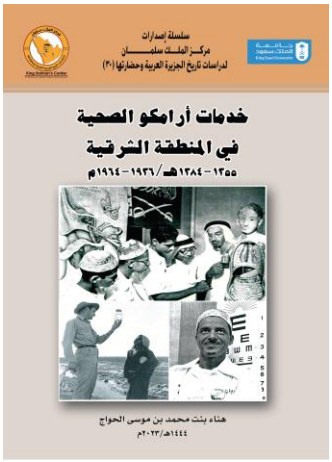

عرض لكتاب

"خدمات أرامكو الصحية في المنطقة الشرقية ١٣٥٥-١٣٨٤هـ/ ١٩٣٦- ١٩٦٤م"

للباحثة/ هناء محمد موسى الحواج

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري

قسم التاريخ – جامعة الملك سعود

يعد هذا العمل العلمي (خدمات أرامكو الصحية في المنطقة الشرقية) مرجعًا تأسيسيًا في مجال دراسة تاريخ التنمية في المملكة العربية السعودية، خاصة الجانب الصحي في المنطقة الشرقية، من الناحيتين العلمية والمنهجية، فقد تميزت هذه الدراسة بالنظرة الشمولية للمشهد الصحي بصورة عامة، مع دقة فريدة في التتبع للمعلومات من مظانها المتعددة، وتقوم على أربعة محاور – هي فصول الكتاب- تغطي شؤون الصحة في المنطقة الشرقية. هي: تمهيد يتناول الحدود الجغرافية للمنطقة الشرقية، ونبذة عن تاريخها، ثم تناول المحور الأول: الأوضاع الصحية قبيل اكتشاف النفط، فيما كان المحور الثاني عن جانب الطب الوقائي من الأمراض، والمحور الثالث عن الطب العلاجي، أما المحور الرابع، المهم والأبعد أثرًا، فتناول الجانب التدريبي للكوادر الطبية المحلية وإجراء الأبحاث العلمية على الأمراض المستوطنة والمنتشرة في المنطقة الشرقية. واعتمدت الباحثة في دراستها على قائمة مصدرية متنوعة من

وثائق، ومصادر ومراجع، ومنشورات أرامكو، والروايات الشفوية، مما أغنى الدراسة وجازت الباحثة بها السبق العلمي في توثيق تاريخ المنطقة في هذا المجال.

ولعله من المناسب بسط الحديث عن هذه الدراسة الرائدة من خلال استعراض فصولها بشيء من التفصيل؛ فقد تناول الفصل الأول الأوضاع الصحية في المنطقة الشرقية قبيل اكتشاف النفط، وذلك من خلال رصد الزوّار الغربيون لتلك الأوضاع، وهم كل من: سادلير، بالجريف، زويمر، ورنكيير، وفيلبي، وأخيرًا تشيزمان، وبعد تتبع دقيقة لمعلومات هؤلاء الزوار وصلت الباحثة إلى استنتاج يلخص ذلك بقولها: "أجمع الرحالة الغربيون مع اختلاف فترات زيارتهم للمنطقة على تردي الأوضاع الصحية فيها، ومنهم من علّل ونسب ذلك إلى المناخ والبيئة أو حتى لعادات الناس وأسلوب حياتهم؛ وتنبهوا للانتشار الواسع لمرضي الملاريا والرمد، والتي تعدُّ أمراضًا مستوطنة بالواحتين، وتوصل الجميع إلى ضرورة إدخال الخدمات الصحية الحديثة إلى المنطقة، كما رصدوا إقبال الناس على الطبِّ الحديث ورغبتهم في الحصول عليه بالرغم من أن لجوءهم له لا يتم إلا في حالة تفاقم المرض ووصوله للحد الأقصى من الخطورة".

ثم استعرضت الباحثة تاريخ الأوبئة التي اجتاحت المنطقة وهي: الطاعون، والكوليرا، والجدري، ثم عرضت للأمراض وعلاجها، وفصّلت في أنواع الأمراض المستوطنة: الملاريا، والتراخوما (الرمد الحبيبي)، وهناك الأمراض المنتشرة، مثل: أمراض الجهاز الهضمي، وأمراض الجهاز التنفسي، وأمراض الدم، والأمراض الجنسية ومضاعفات الولادة، والأمراض الجلدية، والكسور، ثم تناولت مراكز العلاج قبيل اكتشاف النفط، وهي مستشفى نجد العسكري (المستشفى العثماني)، ومستشفى الإرسالية الأمريكية بالبحرين، ومستشفى الأحساء، حيث صدر الأمر السامي بتأسيس مستشفى الأحساء في ١١ رمضان ١٣٤٩هـ/ ٣٠ يناير ١٩٣١م، "وسارعت أسرة القصيبي بتقديم مبنى مكاتبها والذي شيد في سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م ليكون مقرًا للمستشفى الجديد، والمبنى مكوّن من أربع أدوار، يقع في وسط مدينة الهفوف بحي الرفعة مجاورًا لسوق القيصرية، وفي ٩ شوال ١٣٤٩هـ/ ٢٧

فبراير ١٩٣١م"، وعُين الدكتور محمد الشواف طبيبًا لمستشفى الأحساء، أما مستشفى البحر أو مستشفى القطيف فقد صدر الأمر السامي بتأسيسه في ١١ رمضان ١٣٤٩هـ/ ٣٠ يناير ١٩٣١م، "إلا أن تنفيذ هذا المشروع تأخر لعدم توفر الكادر الطبي؛ وفي سنة ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م بدأ العمل فحُدد موقع المستشفى خارج قلعة القطيف عند البوابة الشرقية والمعروفة باسم بوابة البحر، وبجانب الدوائر الحكومية ... وكان كادره الأول طبيبًا هنديًا يدعى محمد عبداللطيف وصيدلي مساعد له من الجنسية نفسها".

تناول الفصل الثاني جهود أرامكو في مجال الطب الوقائي، ابتدًاء بالجهود الأولية وتأسيس قسم الطب الوقائي، والجهود الوقائية قبيل وفي أثناء الحرب العالمية الثانية، وتمثل في المكافحة الميدانية للملاريا، والتطعيم ضد الجدري، ونشر التوعية الصحية، بتأسيس قسم الطب الوقائي على يد الدكتور ريتشارد داغي، حيث قام بتأسيس قسم الطب الوقائي، ولإعادة هيكلة قسم الطب الوقائي على أسس علمية وخطة وقائية شاملة تحت مسمى البرامج الوقائية لمكافحة الأمراض المستوطنة والمتفشية، يُعنى بمكافحة الملاريا، من خلال القيام بمسح ميداني أولي، ومعرفة طرق المكافحة، والتقييم المستمر لمشروع مكافحة الملاريا، وتأسيس برنامج مكافحة التراخوما، والبدء بمشروع أبحاث التراخوما، والتقييم المستمر لمشروع أبحاث التراخوما، وهناك برنامج مكافحة الأمراض المتفشية، من خلال التثقيف الصحي المشتمل على الزيارات الميدانية، منها: الزيارات للمراكز السكنية في المدن والقرى والواحات، وزيارات المدارس، وهناك الزيارات المنزلية في الأيام الصحية، وهناك التثقيف الصحي في منشورات الشركة مثل: مجلة قافلة الزيت الشهرية، جريدة قافلة الزيت الأسبوعية، المنشورات التثقيفية الصحية الأخرى من كتب وكتيبات وبروشورات ولوحات جدارية مختلفة الأحجام، ومن خلال تلفزيون أرامكو، بالإضافة إلى برامج الطب الوقائي داخل مستشفيات الشركة، ومنها برنامج العناية بصحة الأم والطفل MCH، وبرنامج الخدمات الوقائية السريرية للمرضى.

وخلصت الباحثة إلى أن أرامكو قدمت من خلال برامج الطب الوقائي الكثير من الخدمات لموظفيها ولمجتمع المنطقة الشرقية، "...وكانت مبدعة وخلاقة في التخطيط والتنفيذ، الذي توافق في معظمه مع حاجات المجتمع؛ لذلك تقدمت في خدماتها الوقائية بمراحل على ما كان موجودًا في دول رائدة بهذا المجال، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية"، وكان قد ساعد وصول اثنين من المتخصصين في الطب الوقائي إلى أعلى منصب في قطاع أرامكو الصحي بصفتهم مديرين للإدارة الطبية، وهما الدكتور ريتشارد داغي (١٩٦١م-١٩٦٤م) والدكتور ريتشارد هاندسشن (١٩٦٤م – ١٩٦٨م) في إعطاء مساحة أكبر لتنفيذ البرامج الوقائية الفعالة.

وفي لفتة مهمة للباحثة أشارت إلى: "هذه النجاحات لم تكن لتُحصد إلا في ظل تطور شامل وتدريجي للمجتمع برز مع التقدم الاقتصادي وتوفر المواد والسلع، فلم يكن ممكنًا أن نطلب من الناس الاستحمام اليومي على الرغم من غياب إمدادات المياه والمشاق التي يتحملونها في إحضاره من مصادره الطبيعية، أو نطلب منهم تنظيف أسنانهم، ولا تتوفر في الأسواق فرش ومعاجين الأسنان؛ فتوفر المواد الصحية والمنازل الحديثة والمراحيض المتطورة والأهم الصرف الصحي، أيضًا توفر الأغذية المتنوعة والتوسع في زراعة الفواكه والخضروات باستعمال الأسمدة غير العضوية، والكثير من العوامل التي تكاملت مع جهود الطب الوقائي لتساعد جميعها في تحسين الأوضاع الصحية بمجتمع المنطقة الشرقية، كما قام قسم الطب العلاجي من خلال خدماته بتخفيف آلام المصابين ومساعدتهم في التماثل للشفاء...".

وإذا كانت هذه الأدوار قبل الإصابة بالأمراض وبيان أسبابها، والتحذير منها، فماذا عن المرضى والإصابة بالأمراض؟ وهذا ما يتناوله الفصل الثالث؛ المعني بجهود أرامكو في مجال الطب العلاجي، وذلك من خلال عدة برامج رائدة في مجال الطب والصحة، وبدءًا ببناء المراكز الصحية وتجهيزها، مثل مركز الظهران الصحي، فتناولت الباحثة التطورات التي جرت على المباني وتجهيزاته، بصورة شاملة وتتبعية لمواقعها في مناطق عمليات الشركة؛ بدءًا

بمركز الظهران الصحي الشمالي، ثم مركز الظهران الصحي الجنوبي، والمركز الصحي في رأس تنورة، ومركز صحي بقيق، وعرضت للمراكز الصحية في مناطق الشركة النائية (العيادات النائية)، في المنطقة المغمورة، ورأس المشعاب والسفانية، والتناقيب (رأس طبيعي ممتد في مياه الخليج العربي)، والتابلاين (النعيرية)، وعيادات: حقل الغوار، وعين دار، حرض، والعثمانية، والعضيلية، والربع الخالي، وعيادة الأحساء، عدا عن العيادات المتنقلة وعيادات الطوارئ. ثم تناولت في محور آخر في الطب العلاجي الخدمات الطبية المقدمة في مراكز شركة أرامكو من: طب العيون، وطب الأطفال وأمراض النساء والولادة، والجراحة والطب الباطني، وطب الأسنان، ولا تكتمل هذه الخدمات دون تناول الخدمات الطبية المساندة، من الحديث عن خدمات: صيدلية مركز الظهران، وبنك الدم، والأشعة.

وقد عرضت الباحثة لقضية مهمة وسبق مبكر لأرامكو في مجال جودة الخدمات الصحية فيما عرف بـ "الاعتماد" وعرفته بـ"هي عملية متكاملة تتضمن مجموعة من الخطوات التي يتم بواسطتها تقييم المؤسسات الصحية لمعرفة ما إذا كانت تطبق حزمة المعايير والأسس التي صممت دوليًا على أيدِي خبراء لتطوير جودة الرعاية الصحية المقدمة، ويتم التقييم بالمسح الميداني الذي تقوم به جهة معتمدة دوليًا محايدة وغير ربحية". ولتحقيق الحصول على الاعتماد استحدثت الإدارة الطبية في أرامكو عام ١٩٥٥م منصب مفوض الاعتماد، لتطبيق كل ما يلزم ليحصل مركز الظهران الصحي على اعتماد اللجنة الأمريكية؛ وأسندت هذه المهمة إلى الجراح الأمريكي جوليوس تايلور، وحصول مركز الظهران الصحي في عام ١٩٥٦م على اعتمادها الأول من قبل اللجنة الأمريكية المشتركة لاعتماد منظمات الرعاية الصحية والتي مثلتها خمس جهات في ذلك الوقت، هي: الجمعية الأمريكية للجراحين، الجمعية الأمريكية للأطباء، اتحاد المستشفيات الأمريكية، الاتحاد الطبي الأمريكي، الاتحاد الطبي الكندي.

وفي الفصل الرابع والأخير تناولت الباحثة جهود أرامكو في مجال التدريب الصحي، ومجال إسهاماتها المعرفية العلمية في حقل الأبحاث الطبية، وجاء التدريب في محورين،

الأول: التدريب والتعليم الصحي للكوادر السعودية في: مدرسة التمريض، ومدرسة التدريب الطبي في الظهران، وهناك التدريب المنتهي بالابتعاث على أعمال الصحة العامة والإدارة الطبية. والمحور الثاني: كان التعاون مع القطاع الصحي الحكومي، ودعم القطاع الصحي الخاص، مثل: مستشفى السلامة، ومستشفى الشرق، عيادات المانع. عرضت الباحثة بتوسع وتتبع ممتاز إسهام أرامكو في حقل الأبحاث الطبية، من خلال فرق بحث علمية دولية خاصة للأمراض المستوطنة في المنطقة مثل أبحاث الملاريا، وأمراض الدم، التراخوما، وأبحاث علمية أخرى متفرقة، وعرض لنتائجها، وأثرها في المعرفة الإنسانية في حقل الطب.

وتؤكد الباحثة على إن "المتابع للخدمات الصحية التي قدمتها شركة أرامكو منذ بداية تواجدها في المنطقة يرى أنه كان من الممكن أن تحصر تلك الخدمات على منسوبيها، وهم الفئة المستفيدة فرضًا من خدماتها، كما كان ممكنًا تقديم الرعاية الصحية لذات الفئة من خلال التشخيص والمتابعة مع توفير العلاج للحالات القابلة للشفاء بالأدوية أو حتى بالتدخل الجراحي فقط وذلك عندما ألزمتها تعهداتها للحكومة السعودية ونظام العمل في البلاد بتقديم الرعاية الصحية لموظفيها السعوديين وعائلاتهم، لكن شركة أرامكو تعاطت مع مسألة الرعاية الصحية بشكل أعمق...".

والواقع أن الكتاب يكشف بصورة دقيقة ريادة المنطقة الشرقية من بين مناطق المملكة في مرحلة مبكرة من مشروع التنمية الوطني، وأسبقيتها في التعرف على الطب الحديث والاستفادة منه في آخر مستحدثاته، بصورة علمية منهجية، قامت على مسوحات علمية للتعرف على بيئة المنطقة الشرقية ومعرفة الأمراض المستوطنة، وتشخيص أسبابها، وإجراء الأبحاث عليها في أشهر الجامعات الأمريكية.

بقي القول أن هذه الدراسة كانت في أصلها رسالة ماجستير، نوقشت في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود، ونالت الرسالة ثناء لجنة المناقشة، وتقديرها لجهد الطالبة، وباستحقاقها عن جدارة بأن ترقى الرسالة إلى درجة الدكتوراه لو كان نظام الجامعة يتيح ذلك.